وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التراث التفسيري لسيد قطب

أحمد بزوي الضاوي
أستاذ التعليم العالي - مساعد شعبة الدراسات الإسلامية
كلية الآداب و العلوم الإنسانية - جامعة شعيب الدكالي
الجديدة - المغرب
تخصص علوم القرآن والتفسير

: هناك عدة عوامل قد تآزرت لتجعل من سيد قطب مفسرا للذكر الحكيم ويمكننا أن نجملها في ما يلي
1. نشأته في بيت علم وصلاح، يتردد في جنباته عبير تلاوة القرآن، وشذى ترديد آيه، فتنسم سيد هذا الشذى، وذلك العبير، وهو طفل صغير، فترسخ في وجدانه حب القرآن.
2. دراسته بدار العلوم، وهي معقل من معاقل العلم والأدب، مما جعل سيد قطب يتكون تكوينا علميا وأدبيا رفيعا، أهله لأن يكون مفسرا للذكر الحكيم.

: ويمكننا ان نحصر كتاباته حول تفسير القرآن الكريم في الكتب التاليه
(أ- التصوير الفني في القرآن (1945
(ب- مشاهد القيامة في القرآن (1945
ح- خصائص التصور الإسلامي
(د- في ظلال القرآن (1953-1964

ويعتبر تفسير "في ظلال القرآن" الذي فسر فيه صاحبه القرآن الكريم كله، بمنهج خاص ورؤية خاصة اهم ما تركه لنا سيد قطب رحمه الله ، وفي الوقت نفسه من أهم تفاسير القرآن الكريم الحديثة.

3- "التطور التاريخي لتفسير " في ظلال القرآن".

إن أي إنجاز علمي ضخم لا يمكن أن يولد مرة واحدة، كاملا، لا تعتوره أي هنات فكرية أو منهجية أوعلمية، بل لابد له من مراحل يقطعها، ولابد له من مدة زمنية تصهر فيها ذات العالم أو المؤلف أوالكتاب، وتختمر فيها أفكاره، وتعركه فيها الأيام، وتحنكه الشدائد، فتتضح الرؤية، ويرتفع الغبش وتنجلي الحجب.

فإذا كان هذا الإنجاز العلمي الضخم يدور حول كتاب الله تعالى، فإن الأمر يصبح عاديا، بل مطلوبا. إن القرآن الكريم تتكشف حقائقه، وتشع أنواره كلما التحم به المؤمن التحاما حقيقيا وصادقا، وخالصا، والإيمان، والصدق، والإخلاص في جملتها تشكل مفتاح كنوز القرآن الكريم، وتعاقب الأيام، وتوالي الابتلاءات، ومجاهدة الواقع، والنفس، والهوى، والشيطان كلها براهين على الإيمان بالحقيقة التي يعيش الإنسان من أجلها، وصدق التوجه إليها والعمل على تحقيقها في الواقع، والإخلاص في تنفيذها بتعليق الأجر والثواب على الله سبحانه، والإيمان والصدق والإخلاص قيم ثلاث لا توجد في الإنسان دفعة واحدة، ولا يتملكها مرة واحدة، فهي درجات يرتقيها المرء واحدة تلو الأخرى، وكلما ارتقى درجة تكشفت حقيقة، وارتفع حجاب من الحجب التي تعتم الرؤية، وشعت في النفس أنوار قدسية تمنحها الشفافية، وتؤهلها للعيش في ظلال القرآن الوارفة. وهذا هو ما حصل بالنسبة لسيد قطب رحمه الله فإن تفسيره "في ظلال القرآن " لم يولد دفعة واحدة، بل سبقت ميلاده إرهاصات تمثلت في ثلاثة كتب وهي :

1- التصوير الفني في القرآن الكريم الذي لم ينجزه هو الآخر دفعة واحدة، بل ولد عبارة عن مقال بمجلة المقتطف سنة 1939 بنفس العنوان(1)، وقد حاول فيه الكشف عن جوانب من الإعجاز الفني للقرآن الكريم، وبين فيه «القدرة القادرة (التي تصور بالألفاظ المجردة ما تعجز عن تصويره الريشة الملونة، والعدسة المشخصة»(2).

ولم يتمكن سيد قطب رحمه الله من إخراج بحثه هذا في صورة كتاب إلا سنة 1945. وعندها اكتشف « أن الصور في القرآن ليست جزءا منه يختلف عن سائره، إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية (المتبعة في جميع الأغراض، فيما عدا التشريع بطبيعة الحال ...»(3).

ويعترف سيد رحمه الله أن كتابه "التصوير الفني في القرآن" كان فاتحة فهمه وتذوقه للقرآن الكريم، ففيه اكتشف الوحدة الفنية والجمالية الجامعة لطرائق التعبير في القرآن الكريم، والمتمثلة في قاعدة "التصوير" وفي ذلك يقول : « وحين انتهيت من التحضير للبحث، وجدتني أشهد في نفسي مولد القرآن من جديد، لقد وجدته كما لم أعهده من قبل أبدا، لقد كان القرآن جميلا في نفسي نعم، ولكن جماله كان أجزاء وتفاريق أما اليوم فهو عندي جملة موحدة، تقوم على قاعدة (خاصة، قاعدة فيها من التناسق العجيب ما لم أكن أحلم من قبل به، وما لا أظن أحدا تصوره»(1).

2- أما الكتاب الثاني فهو "مشاهد القيامة في القرآن" الكريم وهو عبارة عن تطبيق للنظرية الفنية الجمالية للتعبير في القرآن الكريم، والتي فصل الحديث عنها في كتابه الأول، والتي تستند إلى قاعدة "التصوير".

3- هناك كتاب آخر يعتبر من المحاولات السابقة لتفسير "في ظلال القرآن" على الشكل الذي يوجد عليه اليوم ، وهو " خصائص التصور الإسلامي ومقوماته"، الذي حاول فيه استخلاص العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم، بعيدا عن تعقيدات المتكلمين والفلاسفة. وقد اكتشف فيه وحدة وشمولية المفاهيم والمبادئ الإسلامية.

: ويتوج سيد قطب رحمه الله أعماله التفسيرية بتفسيره " في ظلال القرآن" والذي أنجزه على أربعة مراحل
1. عندما صدرت مجلة "المسلمون" سنة 1950 كتب فيها سيد قطب رحمه الله موضوعا تابثا تحت عنوان " في ظلال القرآن" وقد لقي قبولا واستحسانا من طرف القراء مما جعل إحدى المكتبات القاهرية وهي " دار إحياء الكتب العربية"

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تسعى لشراء حق طبع ونشر تفسير سيد قطب، واشترطت عليه أن يقدم لها جزءا من تفسيره كل شهر وقد دفع لها حتى غاية شهر يناير 1954 ثمانية أجزاء.

2. بعد أن اعتقل سيد قطب رحمه الله على يد قادة النظام الجديد سنة 1954 استمر في الكتابة والتأليف، وقد كانت حصيلة المدة التي قضاها بالسجن ثلاثة أجزاء من تفسيره " في ظلال القرآن"، وذلك رغم صنوف التعذيب التي كان يلاقيها. وقد أنعم الله عليه بذلكم الابتلاء. فجاء تفسيره للذكر الحكيم تفسير رجل ذاق الإيمان، واثق بعدل ربه، صابر على ابتلائه، شاكر لفضله وإحسانه. وقد مكنته تجربة المعتقل من إجادة تفسير الآيات التي تتحدث عن طغيان، واستعلاء، وتعنت الجبابرة، وعن صبر الأتقياء، وتحملهم لصنوف العذاب، واحتساب ذلك عند الله تعالى، ويوضح لنا الأستاذ يوسف العظم في كتابه عن سيد قطب رحمه الله الأثر البليغ لسجنه وتعذيبه على تفسيره حيث يقول: « الحقيقة التي يعرفها المقربون من الشهيد، المحبون لفكره، الأوفياء لذكراه، أن الرجل كان قد كتب معتمدا على ثقافة حصل عليها من قبل في بطون الكتب، وصدور الرجال فلما عاش بالتجربة الحقة مع القرآن، وذاق المعاناة التي أنارت له طريق أصحاب الدعوات، كان إلى القرآن أقرب، وبه ألصق، فأعاد الكتابة، وراجع الصفحات ليكون الكتاب من جديد متكاملا، يقدمه قلم ممتحن، وقلب مصهور في بوتقة العذاب والصبر على البلاء، فجاء "في ظلال القرآن" منهاجا حركيا، وتجربة حياة، وملحمة من ملاحم الفداء والبلاء، والثبات والتضحيات».

3. أعاد سيد قطب رحمه الله تنقيح ما كتبه من أجزاء تفسيره " في طلال القرآن" وذلك بعد أن أفرج عنه سنة 1964، ذلك أنه لما كان معتقلا كانت مصادره التفسيرية قليلة بل قد نقول نادرة، مما جعل عمليه التنقيح أمرا ضروريا ليستكمل التفسير بعده العلمي والمنهجي، وإن كانت الخطوط المنهجية العريضة لتفسير " في ظلال القرآن " لم يطرأ عليها أي تغيير يذكر لأنها كانت مستوحاة من القرآن الكريم نفسه، ومن ثم لم يكن في المصادر والمراجع التي رجع سيد عند قيامه بتنقيح تفسيره، ما يحمله على ذلك.

4. بعد ان ألقي القبض عليه مرة ثانية (1965) منع من إتمام تفسيره، مما جعل الشركة التي تعاقد معها سيد رحمه الله على طبع ونشر تفسيره، تقاضى النظام الجديد. ولما كان هذا الأخير لم يحكم قبضته بعد على البلاد والعباد، فإننا نجده يرضخ لحكم المحكمة، ويسمح لسيد قطب بالاستمرار في كتابة تفسيره للقرآن الكريم، وذلك شريطة أن تراجع كتاباته قبل نشرها من قبل لجنة أعدت لذلك الغرض. وكان مما حذفته اللجنة المذكورة، مقدمة سورة الفجر، ومقدمة سورة البروج التي ضمنها المؤلف كتابه "معالم في الطريق" بعنوان "هذا هو الطريق".

والملاحظ أن هناك نوعا من التكامل بين " في ظلال القرآن" و"معالم في الطريق"، ذلك أن ما فات الكاتب في الأول استدركه في الثاني، والذي أراد منه أن يكون منهاجا لفكر حركي منظم مستخلص من كتاب الله الذي اعتنى بتفسيره، وبسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي اهتدى بهديها، واستعان بها في تفسيره لآي الذكر الحكيم.

مما سبق نخلص إلى أن تفسير القرآن عند سيد قطب مر بمراحل ثلاث وهي :

المرحلة الأولى :

ويمكننا أن نسميها "بالأداة" وهي تتمثل في كتابيه "التصوير الفني في القرآن" الذي اكتشف فيه القاعدة الأساسية للتعبير في القرآن الكريم وهي " التصوير الفني"، أما الكتاب الثاني فهو "مشاهد القيامة في القرآن" والذي طبق فيه النظرية التي توصل إليها في كتابه الأول.

المرحلة الثانية:

ويمكننا أن نسميها "بالتصور"، وهي تتمثل في كتاب "التصور الإسلامي ومقوماته"، وهو الكتاب الذي حدد فيه معالم العقيدة الإسلامية من خلال القرآن الكريم، وقد اكتشف في كتابه هذا خصائص التصور الإسلامي وهي :

1- الربانية: فمن خصائص التصور الإسلامي ربانية المنهاج الذي وضعه الخالق لسعادة البشرية جمعاء.

2- الشمول: الإسلام دين شامل ومتكامل يكفل للإنسان السعادة الخالصة في الدارين.

3- التوازن: فالإسلام دين متوازن، يوفق بين أشواق الروح، ورغبات الجسد.

4- الثبات: الإسلام دين ثابت في أصوله، فهي لا تتبدل ولا تتغير.

5- الإيجابية : يسهم الإسلام في بناء المجتمع الإنساني الراقي، والحياة الإنسانية الفاضلة.

6- الواقعية : الإسلام دين واقعي، بمعنى أنه قابل للتطبيق، وخير دليل على ذلك تطبيق المسلمين الأوائل للإسلام، وتحكيم شريعة الله في كل أمورهم، فسادوا الدنيا، وملأوها نورا وعدلا.

7- التوحيد : وهو الدعامة الأساسية والثابتة في التصور الإسلامي.

المرحلة الثالثة :

ويمكننا أن نسميها "بالوحدة" وهي تتمثل في تفسير سيد قطب " في ظلال القرآن" الذي جمع فيه بين ما توصل إليه في المرحلتين السابقتين، مع شيء من التوسع ليشمل كل القرآن الكريم وبذلك جاء تفسيره جامعا بين النزعة الأدبية الفنية، والنزعة الهدائية التوجيهية.

وهناك خاصية مشتركة بين المراحل التفسيرية الثلاث، وهي التي عبر عنها سيد قطب رحمه الله في كتابه "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته"، حيث الانطلاق من القرآن مباشرة للكشف عن القيم التعبيرية الجمالية، وإيضاح خصائص ومقومات التصور الإسلامي، ونفى كل مقررات سابقة، واجتناب الرد على الشبهات. وهذه الخاصية المنهجية لتفسير سيد قطب للقرآن الكريم. تبين أنه كان يطمح إلى تكوين حصانة إسلامية عند الأمة الإسلامية خاصة عند شبابها ضد أي غزو ثقافي، وإرجاع الثقة إلى النفوس الحائرة والمتخاذلة، وكسر قيد التبعية الذليلة للغرب، وإزالة شبح الهزيمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحضارية التي تشكل عقدة نفسية خطيرة لدى المسلمين، تجعلهم يفقدون الثقة والأمل في عودة الإسلام والمسلمين إلى مقام الريادة والقيادة.

المصدر: شبكة التفسير

This file was downloaded from QuranicThought.com